

إنسانيات

المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية



البحث في العلوم الاجتماعية: مقاربات من خلال السياقات

طيظم بساح • إيزابيل فرانقود • سعيد بلقيدوم
فاطمة الزهراء شباب • يحي بن يمينه • فريد مرحوم
سارة بومزواد • نوال عليوة • عبد الحفيظ حموش

لقاء

مع فاطمة أوصديق

السنة الثلاثون-عدد 111

جانفي-مارس 2026



111

إنسانيات | Insaniyat

2026

janvier-mars
جانفي-مارس



Insaniyat

Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales



La recherche en sciences sociales :
approches par les contextes

Titem BESSAH • Isabelle GRANGAUD • Saïd BELGUIDOUM
Fatima Zohra CHEBAB • Yahia BENYAMINA • Farid MARHOUM
Sara BOUMEZOUED • Nawel ALIOUA • Abdelhafid HAMMOUCHE

Entretien

Avec Fatma OUSSEDIK



30^e année-numéro 111
janvier-mars 2026

فهرس

البحث في العلوم الاجتماعية: مقاربات من خلال السياقات

عدد 111، جانفي-مارس 2026 (مجلد 30، 1)

	تقديم العدد: عز الدين كنزي عبد الحفيظ حموش
3	باللغة العربية
10	باللغة الفرنسية
16	مقاربة للتنظيم الاجتماعي والديني في منطقة القبائل: الإثنوغرافيا وتداخل الاختصاصات (باللغة الفرنسية) طيطم بساح
45	أصول التاريخ العثماني: نظرة على تجربة ميدانية (باللغة لفرنسية) إيزابيل قرانقود
73	المدينة الجزائرية في مواجهة التحديات: من الفضاء المرغوب إلى الفضاء المعيش. قراءة نقدية في المنظور (باللغة الفرنسية) سعيد بلقيدوم
96	التحقيق في الوسط المهني : من القيود إلى التفكير النقدي (باللغة الفرنسية) فاطمة الزهراء شباب
119	ممارسات البحث التشاركي في سياق المشاركة السياسية للشباب: عودة انعكاسية إلى تجربة بحث ميدانية (باللغة الإنجليزية) يحي بن يمينه
136	التوسع الحضري في القرى الاشتراكية الزراعية بالجزائر: مسارات "حضرة" الريف و"تريف" المدينة فريد مرحوم وسارة بومزواد ونوال عليوة
162	في أسس العلوم الاجتماعية: البحث الميداني وقيوده (باللغة الفرنسية) عبد الحفيظ حموش

SOMMAIRE

La recherche en sciences sociales : approches par les contextes

n° 111, janvier-mars 2026 (Vol. XXX, 1)

Présentation

par Abdelhafid HAMMOUCHE

<i>En langue française</i>	10
<i>En langue arabe</i>	3

<i>Approche dynamique de l'organisation sociale et religieuse en Kabylie : ethnographie et interdisciplinarité</i>	16
--	----

Titem BESSAH

<i>Aux sources de l'histoire ottomane : retour sur une expérience de terrain</i>	45
--	----

Isabelle GRANGAUD

<i>La ville algérienne face à ses défis : de l'espace voulu à l'espace vécu. Une mise en perspective critique</i>	73
---	----

Saïd BELGUIDOUM

<i>Enquêter en milieu professionnel : des contraintes à la réflexivité</i>	96
--	----

Fatima Zohra CHEBAB

<i>Participatory Research Practices in the Context of Youth Political Engagement: A Reflexive Account of a Fieldwork experience</i>	119
---	-----

Yahia BENYAMINA

<i>L'Expansion urbaine dans les villages socialistes en Algérie : processus d'« urbanisation » de la campagne et de « ruralisation » de la ville (en langue arabe)</i>	136
--	-----

**Farid MARHOUM, Sara BOUMEZOUED
et Nawel ALIOUA**

<i>Aux fondements des sciences sociales, l'enquête et ses contraintes</i>	162
---	-----

Abdelhafid HAMMOUCHE

تقديم

انبثقت فكرة العدد الموضوعاتي الذي يُعنى بالتحقيقات الميدانية - بوصفها أداةً من أدوات العلوم الاجتماعية - أثناء ورشة العمل¹ التي جرت فاعليتها يوم 13 ماي 2023 وخصّصت لتقييم حصيلة مجلة إنسانيات بعد العدد مائة. تتيح مُساءلة التحقيقات في العلوم الاجتماعية الفرصة لمناقشة طرائقها ومضامينها واختياراتها، بغية الوقوف على مقاربتها البراغمية التي تفترض الاحتكاك بالميدان والتواصل مع شركاء البحث فيه، خصوصاً وأنّ إنتاج المعارف والتأكد منها يستوجب إخضاعها للمحاججة التي تستند عليها الفرضيات أو الحدوس أو الحس المشترك، عبر جمعٍ منهجي للبيانات يتوخى اليقظة الإستمولوجية. يسعى هذا العدد الموضوعاتي، في السياق الراهن، إلى تقديم صورةً عن بعض الممارسات الميدانية والمنهجية، ويأمل في مقارنة الإكراهات التي تحكمها وتواجهها، كما يسعى للوقوف على طبيعة الالتزام المعرفي الذي يسند تطوّر المناهج البحث السوسولوجية والأنثروبولوجية والتاريخية...، بغية أشكلة بعض صعوباتها وعوائقها، وتحديد توجّهاتها النظرية والمنهجية واختياراتها لشركاء البحث، ومراعاة ممارساتهم اللغوية، فضلاً عن معرفة الكيفية التي يترجم بها الباحثون أسئلتهم ضمن أطرٍ منهجية واضحة.

يتعيّن بداية التوضيح على نحوٍ أدق المقصود بـ "التحقيقات الميدانية" التي تُعدّ القاعدة الأساس في إنتاج في العلوم الاجتماعية²، وبيان أسباب أشكلتها بناء على الإكراهات التي تواجهها، خصوصاً وأنها متعدّدة من حيث التعريف والاستخدام والتملّك. ويبرز هذا العدد من المجلة "التحقيقات" بوصفها مسلكاً بحثيّاً ضرورياً في جمع بيانات ذات الصلة بممارسات شركاء البحث وتمثلاتهم وخطاباتهم، وظروف معيش الفئات الاجتماعية والجماعات ودينامياتها الاجتماعية والثقافية. يجدر القول أن التحقيقات الميدانية - تعتبر أداةً لتقصي البيانات وجمعها، لكونها تُسهّم بطرائق متعدّدة في التأكّد من صحّة الخطاب

¹ أنظر عرضاً عن ورشة العمل بهذه المناسبة في إنسانيات، (2023)، (100)، 171-181.

² Céfaï, D. (2003). *L'Enquête de terrain*. La Découverte.

العلمي ومشروعيته، وعندما ندرجها ضمن البرهنة العلمية للنتائج، فإنها تتميز حتما عن تحقيقات أخرى تمارسها المؤسسة الأمنية (تحقيق الشرطة) أو تلك المرتبطة ببعض أنماط الخبرة التقنية.

يقتضي تحليل التحقيقات الميدانية في العلوم الاجتماعية دراسة ظروف إنجازها، والسياقات العامة التي تتحكم فيها (مثل الحروب والأزمات وفترات الاستقرار)، فضلا على مقارنة أشكال تعاملها مع الإكراهات المؤسسية، وتلك المتعلقة بعمليات التنشئة على البحث العلمي، وفي هذا السياق يُمكن فرضاً الاعتقاد أنّ اليقظة الإستمولوجية في التحقيقات تفترض عدم إغفال تأثيرات الإكراهات التي تواجهها البحوث (ومنها، على سبيل المثال لا حصر، مصادر التمويل ونوعيتها ومقدارها)، دون الخضوع التام لها مهما كانت الظرفية التي تميزها. لذا لا يتموضع الباحثون والباحثات في موضع "البطولة" وهم يجارون الميدان وإكراهاته، ولا في موقع "الانسحاب" عندما تكون تأثيراته شديدة، بل يعملون فرادى أو جماعات ضمن فرق بحثية، وقد تكون طرق عملهم الميداني حرجية أو مدعومة مادياً ومالياً، ومن هذا المنطلق تصبح الإكراهات الميدانية وعوائقها محل تأويل، وتفترض ترجمتها في شكل تعديلات إجرائية سلسلة ومتدرجة تسهم في إضفاء قدرٍ مُعتَبَرٍ من الوضوح شأن المسار الذي تتشكل من خلاله المقاربة البراغمية. إن إبراز الرهانات الاجتماعية ضمن زمنية محدّدة يقتضي عرض الأسس التي يقوم عليها التحليل من خلال تفسير شروطه المادية، وتوضيح تجذّره العملي للمقاربة المعتمد عليها، مع مراعاة لسياقات بناء أطرها السوسيو-سياسية والاقتصادية، أو اعتماداً على توجهاتها المؤسسية، أو مراحلها الاجتماعية والثقافية.

تتجلى المتطلبات الإستمولوجية باعتبارها أحد مرتكزات العلوم الاجتماعية غالباً من خلال التوجّه النظري المتبنى والمنهجية المتبعة، ويُعبّر عنها من خلال الأطر التي تُعتمد لتوضيح أسس تشكّل المعرفة وجعلها قابلة للنقد والمساءلة، وإخضاعها لتقييم من قِبل النظراء، وبهذا المعنى، تندرج مقاربات الباحثين ضمن الطابع التراكمي للمعرفة، بما يفترض احتمال و/أو إمكانية تجاوزها جزئياً على الأقل. ولكي لا تبقى هذه الفكرة مجرد إعلانٍ مبدئي لشكل من الالتزام

المعرفي، فإن التأسيس للمسافة النقدية يستدعي مساءلة التحقيقات الميدانية في ضوء سياقات تشكّلها. وإذا سلّمنا أنّ معظم الأبحاث في العلوم الاجتماعية تبني هذه الإرادة وتستند عليها، فإنّه يمكن القول أيضا أنّ الشروط التي تتحقق في إطارها تلك الأبحاث مختلفة. وفي هذا السياق، نعتقد أنّ أشكّلة الإكراهات تعني موضوعة التحقيق الميداني، والمحقّق/المحقّقة لكي يكونا مدخلا لتحليل جوانب من تأثيرات السياقات على إنتاج المعرفة وقيودها المتجلىّة في المؤسسات، أو في الأوضاع الظرفية الخاصة (مثل الحروب أو تسارع العولمة)، أو ظروف التنشئة العلمية وشروطها المهنية، والتي تحدّد، على سبيل المثال غالبا، عبر حدود بين القول الممكن وما يُعدّ تجاوزًا داخل الحقل الأكاديمي.

يعتبر المجال البحثي في العلوم الاجتماعية مجالًا متحوّلًا بطبيعته نظرا للطابع التراكمي للمعرفة الذي يفترض مُساءلة صورة نهائية، لذا تعتبر محاولات التجريب المقتنّة بإجراءات منهجية، والشكّ المحقّز بالمبادرة، وقبول النقد بوصفه دلالة على عدم اكتمال المعرفة وعدم دوامها، عناصر لا تقلّ أهمية عن تقييم عمق تحليل المعطى العلمي وتأويله. يمكن هذا الطرح من تجاوز ثنائية الوسم التقليدي بين "العلوم الصلبة" و"العلوم اللينة" واستبعاده لكونه غير منتج للتمييز بينهما، فعلى سبيل المثال تستند الممارسات العلمية في البيولوجيا، وفي علوم أخرى شبيهة لها، على محاولات منهجية تدريجية وحدسية مثبتة وحدوس يتم اختبارها. ونعتقد أنّ من الأنسب التمييز بينهما من حيث درجة قبولهما أو رفضهما لإجراء التجربة والتحقّق منها عوض التمييز التي يتخذ ثنائية "الطبيعة" و"الثقافة" مبدأ (علوم الطبيعة في مقابل علوم الثقافة). يجدر التنويه إلى أنّ معظم الباحثين يجتهدون من أجل عرض أعمالهم للنقاش في الندوات العلمية بين النظراء، وفي غيرها من فضاءات النقاش العلمي، تجنّبًا لعزل ممارساتهم البحثية أو حصرها في إطار فردي محظ، وهو ما يتيح لهم عادة إنتاج خطاب نقدي بناء يساعد لا محالة على بناء المسافة النقدية التي تكشف بصورة أوضح عن العوائق أو الانسدادات الإبيستمولوجية الضمنية.

تكتسي التغيّرات التي تعرفها المعرفة في العلوم الاجتماعية معناها أيضا في السياقين الجامعي والثقافي في الجزائر، وتندرج ضمن تحولات أوسع تشهدها

العديد من البلدان، ومن البديهي القول أنّ الجامعة قد عرفت تغيّرات عميقة في العالم خلال العقود ثلاثة عقود الأخيرة، فالتدريس، وإن احتفظ بأهميته في هذه المؤسسة المعرفية الهامة، إلّا أنّه تراجع للصف الثاني مقارنة بالبحث العلمي الذي يحتل اليوم مكانة مركزية، خاصة في ظل تنافس متزايد تدعمه تصنيفات دورية والمؤسسات الجامعية، والذي لا تخلو من الانتقاد، خصوصاً عندما تصبّ في الغالب لصالح الفضاء الأنغلوساكسوني وتعرّز من هيمنة أخرى تنصّدها اللغة الإنجليزية.

من جهة أخرى، ولتفادي التعارض "المصطنع" بين النقاشات المتداولة في الفضاء الإعلامي وتلك التي تخصّ البحث العلمي ومخرجاته فيما يتعلّق بتحليل الراهن، من الأفضل التذكير بأنّ مقارنة هذا الأخير يستوجب الاحتكام للمعايير الأكاديمية التي تستند على مقتضيات امتداده الزمني وأفاقه وسياقات البحث فيه، لذا لا يُعدّ "الصمت" انصرافاً عن الواقع بل سعيّاً لتفسيره وفهمه بشكل دقيق، خصوصاً في ظل صعوبات تبديد الشائعات التي تقلّل من شأن العلوم الاجتماعية وتعتبرها مجرد نشاط فكري عديم الأثر مقارنة بالرأي الذي يعتبرها مفتاحاً أساسياً لفهم "المجتمعات المعاصرة" وتفسير ظواهرها. إنّ هذا النوع من "الجهل/ التجاهل" أو "اللامبالاة" ينبغي أخذه بجديّة إذا ما أُريد لنتائج البحث أن لا تظل حكرّاً على الأوساط الأكاديمية وقابلة للتشارك مع محيطها، ومن هنا تبرز أهمية توسيع دائرة المهتمين بها لكي لا تبقى محصورة فقط عند الجماعة العلمية، على اعتبار أنّ معارفها تُنتج وفق تحقيقات ميدانية "مُحتَرَفَة"، تجعل منها جديرة بالنقاش في إطار الحقل الأكاديمي وبين النظراء وبين فاعلي النقاشات العمومية.

تتجلى التحقيقات الميدانية في العلوم الاجتماعية بالجزائر، في هذا العدد من مجلة إنسانيات، بوصفها مجالاً للالتزام الذي يسعى إلى خدمة المعرفة التي تُبرز تعقيد الظواهر الاجتماعية في مجتمع غني بتاريخه وتنوّعه، خصوصاً وأنّ التحوّلات التي شهدتها الجزائر منذ السنوات الأولى للاستقلال إلى غاية المرحلة الراهنة تجعل منها مجالاً خصباً منتجا للمعنى في ظل الديناميات الاجتماعية

والسياسية والثقافية، والتغيرات التي تعرفها الأوساط الحضرية والريفية، والثراء اللغوي وتعدّده، والتغيرات السوسيو-ديمغرافية الكبرى.

تقترح مجلة إنسانيات، في ظل السياقات التي تميّز التحقيقات الميدانية وفاعليتها، تسليط الضوء عليهما من خلال مُسألة مضامين "الالتزام عن بُعد"، لا سيما عندما نفترض أنّ اختيارات مواضيع البحث يمكنها أن تعلن عن ملامح خريطة - وإن كانت محدودة- لطرائق إنتاج المعرفة العلمية في العلوم الاجتماعية. يجدر التنويه أنّ الأوراق البحثية المقترحة في هذا العدد تعكس رؤية متقاطعة متعدّدة من حيث مستويات الطرح المفاهيمي والأسئلة البحثية، وهو ما يدعم ممارسات علمية رغم تتباين أنماط التنشئة البحثية.

وفي هذا السياق، تقترح طيطم بساح في مستهل هذا العدد الذي يهدف إلى إبراز تنوع بناء الإشكاليات في سياقات ميدانية شديدة الاختلاف لدراسة الديناميات الاجتماعية والدينية في منطقة القبائل، إذ تستند على الأثنوغرافيا والمقاربة متكاملة المعارف، لتستدعي ضمنها عدّة مجالات معرفية، وتدعم طرحها البحثي بإحالات مرجعية متعدّدة تعزّز طابعه التراكمي. تتناول ورقته البحثية جانبان متكاملان: يتناول الأول الأسس الإستمولوجية والنظرية والمفاهيمية للمقاربة متكاملة المعارف المعتمدة في دراسة الديناميات الاجتماعية والتي تجمع بين معارف الأثنوبولوجيا والتاريخ، بينما يقدّم الثاني قراءة تأملية ونقدية في رهانات التي تحكم العمل الاثنوغرافي وتحدياته أثناء التحقيق الميداني.

وضمن سياق بحثي آخر، تقترح إيزابيل قرانقود في ورقته البحثية المعدّة لهذا العدد قراءة تأملية في مسار بناء أبحاثها حول فترات مختلفة من تاريخ العديد من المناطق الجزائرية، بناء على مقارنة "جديّة وصارمة في التعامل مع مصادر البحث التاريخي"، إذ تفصّل في عرض مراحل بناء بحثها التي سمحت لها بإعادة تحديد تدريجي لمفهوم المصادر التاريخية، من وهران إلى قسنطينة، ومن التاريخ العثماني إلى التاريخ الاستعماري، مبيّنة كيف تساهم تنوعات الميدان في إعادة صياغة مكانة هذه المصادر.

أما سعيد بلقيدوم الذي أنجز تحقيقات ميدانية في عدّة مدن جزائرية وأشرف على عدد معتبر من المشاريع ذات الصلة بسوسيولوجيا العمران، فيناقش معالم بروز التحضر المكثّف وتأثيراته على المجتمع الجزائري الذي كان يهيمن عليه الطابع الريفي، إذ يستعرض في هذا العدد تحليل دينامية الممارسات الاجتماعية وتأثيراتها على المجال المكاني ويبرزها كنتاج متجدّد للعلاقة الجدلية بينهما، ويرى أنّ "فهم المدينة يقتضي دراستها بوصفها نتاجًا متجدّدًا لنشاط الفاعلين"، كما يشير إلى أنّ الهشاشات الاجتماعية الجديدة مرتبطة أيضًا بالتغيّرات المناخية التي تزيد من فعالية التفاوتات الاجتماعية، خالصا إلى دعوة الباحثين وصنّاع القرار معا إلى التفكير في مدينة المستقبل من منظورات جديدة.

وتتناول فاطمة الزهراء شباب عرضا لدراسة استطلاعية أُجريت مع مهنيي الصّحة العمومية والذين يقاسمونهم المجال نفسه، إذ تبيّن معالم تعقيد الوضعية المزدوجة التي تجمع فيها بين "الطالب الباحث" و"الممارس الصحي"، وتأكّد على ضرورة تبني موقف تأملي دائم، خصوصا عندما يتجلى الميدان البحثي المألوف والقريب معقّدا هو الآخر، إذ يفرض على الباحث التخلّص من صورة الألفة التي تعيق الفهم، والاقتراب تدريجيا من موضوع الدراسة، لتخلص لنتيجة ترى من خلالها أنّ التحقيقات الميدانية في الميادين المألوفة تستوجب عدم الاستهانة بتعقيداتها.

أما يحيى بن يمينّة، فيقدّم عرضا يتنوع أشكال الانخراط السياسي والمدني لدى فئة الشباب بالجزائر، ويعتمد على مقارنة إثنوغرافية تمّت صياغتها بناء على تكيّف مستمر مع ميدان البحث "ناشئ وارتجالي". يسعى الباحث في هذا المقال إلى فهم الأنماط الهجينة للفعل الاجتماعي والكفاءات القابلة للاستخدام بين مختلف ساحات النشاط السياسي والمدني، ويؤكد على ضرورة اعتماد منهجية مرنة وأخلاقيات مهنية صارمة أثناء التحقيق الميداني، أساسها الاحترام المتبادل مع شركاء البحث، بغية إنتاج بيانات "صحيحة" في ظل سياق بحثي معقّد سمته الحذر.

ويطرح المقال المشترك الذي يجمع كلا من فريد مرحوم، وسارة بومزواد، ونوال عليوة مسألة الحدود بين الريفي والحضري اعتمادا على قراءة نقدية تعيد التأمل في تجارب القرى الاشتراكية، إذ يقدمون مقاربة بديلة من أجل فهم الديناميات المجالية المعقدة لهذه القرى الجزائرية ومسارات تطورها بعد نصف قرن من الزمن، وهو ما يساهم في بعض النقاش العلمي حول إشكالية التحضر والترييف.

كما يقترح عبد الحفيظ حموش قراءة تأويلية لمساره البحثي الدولي الذي يجمع فيه بين العديد من التحقيقات الميدانية التي أجراها في الجزائر وفرنسا والبرازيل واليابان، وبقدّم حصيلة تجاربه في إجراء التحقيقات السوسولوجية بغية مساءلة الغيرية في سياق الديناميات الحضرية، كما يثير النقاش حول إكراهات الميدان والتي لا تقتصر فقط على الصعوبات اللغوية والثقافية، بل تشمل أيضا صعوبات التكيف مع الأنماط المتعددة من التنشئة البحثية، أخيرا، يقترح هذا العدد الموضوعاتي مقابلة مهمة مع الباحثة السوسولوجية فاطمة أوصديق، تتناول فيها تجاربها في مجال التحقيقات الميدانية التي أنجزتها من أجل البحث في إشكاليات العلاقات الجندرية في المجتمع الجزائري، ومكانة النساء فيه، وواقع التعليم، والمسألة الحضرية والظاهرة الدينية.

عبد الحفيظ حموش*

ترجمة فؤاد نوار*

* Université de Lille, Clersé-CNRS, UMR 8019, Faculté des sciences économiques, sociales et des territoires, Cité scientifique, (59655), Villeneuve d'Ascq Cedex, France. N° ORCID : 0000-0003-4660-7679

* Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle, 31 000, Oran, Algérie. N° ORCID : 0009-0008-8395-1085

Présentation

C'est lors du workshop d'*Insaniyat* du 13 mai 2023¹ qu'est née l'idée de consacrer un numéro à l'enquête en tant qu'instrument des sciences sociales. S'interroger sur celle-ci en tant que fondement d'une partie des sciences sociales offre l'opportunité de la caractériser, notamment par la démarche pragmatique, celle de la confrontation aux terrains, par celles qui imposent d'éprouver ses hypothèses ou ses intuitions par le recueil méthodique des données, en remettant à l'ouvrage la vigilance épistémologique. En l'inscrivant dans le temps présent, il devrait en ressortir un aperçu des pratiques, des méthodes d'aujourd'hui, des contraintes. C'est aussi l'occasion d'appréhender l'engagement distancié qui soutient l'essor des démarches sociologiques, anthropologiques, historiques,... en donnant l'occasion de faire connaître les difficultés, les obstacles de toutes sortes pour problématiser, pour arrêter une orientation théorique et méthodologique, pour définir des échantillons et tenir compte des pratiques langagières et voir comment les chercheurs traduisent leurs questions par un cadrage méthodologique.

Il convient cependant d'indiquer plus précisément ce que « enquête » veut dire et pourquoi la problématiser par les contraintes en lui donnant un statut de fondement aux sciences sociales². Le terme ouvre, en effet, sur une multitude de définitions, autant d'appropriations et d'usages. Elle est mise en relief dans ce numéro en tant que méthode de recherche pour collecter des informations sur les comportements, les attitudes et les conditions de vie d'un groupe, ou d'une communauté, les dynamiques sociales d'une société. Instrument d'investigation, elle participe de diverses manières à la validation, à la légitimation du propos. Lorsque celui-ci s'inscrit dans la démonstration scientifique, elle se distingue d'autres démarches revendiquant

¹ Voir le compte rendu sur ce workshop, Le Comité de rédaction d'*Insaniyat*, « La revue *Insaniyat* 1997-2023. État des lieux et perspectives », *Insaniyat*, (2023). (100), 171-181.

² Céfaï, D. (2003). *L'Enquête de terrain*. La Découverte.

également le terme telles que celles pratiquées par la police, ou celles indexées à certains types d'expertise.

Par conditions d'enquêtes, et outre les contextes (de guerres, de crises, de temps apaisés), il faut entendre les contraintes instituées et celles qui relèvent de la socialisation à la recherche. On peut supposer que la vigilance épistémologique, quelle que soit la conjoncture, consiste à ne pas les ignorer (par exemple par les financements) sans s'y soumettre. En ce sens, les chercheuses ou les chercheurs ne sont ni dans l'héroïsme ni dans la fuite, mais des personnes attelées individuellement ou collectivement en équipe, de manière artisanale ou plus dotées matériellement et financièrement. Elles et ils interprètent les contraintes et les obstacles, les traduisant par des ajustements, des tâtonnements pour rendre plus lisible le cheminement par lequel se construit une démarche pragmatique. Faire connaître les enjeux sociaux à un moment donné mérite d'être présenté par ce qui fonde l'analyse, par l'explicitation des conditions matérielles, et l'ancrage pratique des démarches, en définissant les conjonctures par les cadres sociopolitiques et économiques, par les orientations institutionnelles ou par des phases sociales et culturelles.

L'exigence épistémologique au principe des sciences sociales se décline le plus souvent par l'orientation théorique et par la méthodologie adoptée. Elle s'exprime selon les cadres retenus pour rendre explicite les fondements de l'élaboration de la connaissance, la rendre dès lors critiquable, et la mettre ainsi à l'épreuve de l'appréciation de sa robustesse par les pairs. La démarche des chercheurs s'inscrit de la sorte dans la cumulativité du savoir, sous-entendant son possible, voire son probable dépassement au moins partiel. Pour ne pas rester une pétition de principe, l'élaboration de la mise à distance gagne à être interrogée par le contexte dans lequel elle s'opère. Si l'on peut postuler que la plupart des recherches se fondent sur cette volonté, on peut aussi noter que les conditions dans lesquelles elle devient effective diffèrent. Problématiser les contraintes revient à poser l'enquête, et l'enquêtrice ou l'enquêteur, en analyseur d'une part du contexte et de ses contraintes observables sous formes d'institutions ou de conjonctures spécifiques telles que la guerre ou l'internationalisation accrue et, d'autre part, des contraintes intériorisées par la socialisation et définissant, par exemple, les limites du dicible au sens large ou du transgressif dans le champ académique.

Le milieu de la recherche est logiquement évolutif, avec une cumulativité qui ne vaut pas fixation définitive. Le tâtonnement canalisé par procédures, le doute érigé en stimulation, l'acceptation de la critique signifiant l'inachèvement perpétuel du savoir important autant que l'appréciation de la robustesse de l'analyse et de l'interprétation. Il convient dès lors d'exclure le clivage que contient l'expression « sciences dures » les opposant implicitement aux « molles ». En biologie, à titre d'exemple, ou dans d'autres disciplines les pratiques reposent aussi sur des tâtonnements méthodiques et des intuitions éprouvées. Il est préférable de distinguer les sciences qui s'autorisent des expérimentations d'autres qui se l'interdisent, à moins de les différencier par l'articulation nature/culture (les sciences de la nature/ les sciences de la culture). Ajoutons que, pour ne pas concevoir une forme d'investigation se définissant par isolement, ou seulement singulièrement, la plupart des scientifiques s'exposent par confrontation en séminaire (ou dans d'autres enceintes), lequel peut générer une critique bienveillante à même de soutenir une distanciation rendant plus repérables les obstacles ou les blocages épistémologiques implicites.

Ces changements évidemment prennent sens relativement au contexte universitaire et culturel algérien. Mais ils s'inscrivent aussi dans des transformations se vérifiant dans bon nombre de pays. Il est banal de dire que depuis au moins trente ans le monde universitaire a vécu de lourdes mutations. L'enseignement garde certes toute son importance. Mais elle est devenue seconde par rapport à la recherche qui, dans ces régions, occupe une place prépondérante dans ce qui est dorénavant une compétition soutenue régulièrement par des classements tout autant régulièrement critiqués. Leur mise en avant profite largement, comme on le sait, aux anglo-saxons et à l'imposition de la langue anglaise.

Pour éviter une opposition factice entre les réflexions émises dans les débats médiatiques et celles qui se fondent sur la recherche, il est sans doute utile de rappeler que ce n'est pas fuir l'actualité que de tenter d'en expliquer les ressorts par une analyse répondant aux exigences académiques, s'inscrivant dans la durée et la mise en perspective, par une délimitation rigoureuse des phénomènes à étudier. Pourtant, dire que les sciences sociales fournissent un élément clef des sociétés contemporaines ne suffit pas à écarter les opinions assez répandues qui en font un exercice intellectuel sans conséquences ou sans véritable apport. Ce type

d'ignorance ou d'indifférence est à prendre au sérieux si l'on ne veut pas cantonner le partage des enseignements de la recherche aux seuls universitaires. Le souligner incite à tenter de s'adresser au-delà du monde des chercheurs, et à rappeler que la production du savoir générée par les sciences sociales sur la base d'enquêtes gagne à être au moins discutée pour participer, au-delà de la dispute académique et validation par les pairs, au débat démocratique.

L'enquête en Algérie, telle qu'elle se donne à lire dans ce numéro est un engagement qui se veut au service d'une connaissance de la complexité d'une société riche en histoire et en diversité. Ces soixante dernières années font du pays un terrain propice aux complexifications tenant compte des dynamiques sociales et politiques, des profondes évolutions rurales et urbaines, de la pluralité linguistique et des grandes évolutions socio-démographiques.

C'est la contextualisation de cette mise en actes des enquêtes de terrain que *Insaniyat* veut éclairer en interrogeant l'engagement distancié, en supposant que le choix de l'objet de la recherche reflète une cartographie, certes limitée, mais instructive des manières de faire de la science. Les regards croisés proposés révèlent, en effet, un questionnement diversement énoncé et conceptualisé pour soutenir une démarche scientifique également diversement socialisée.

C'est dans cette perspective que s'inscrit ce numéro en voulant faire connaître des manières de problématiser dans des contextes fort différents des enquêtes. Il y a celui des dynamiques sociales et religieuses que propose Titem **Bessah** en fondant son propos sur l'ethnographie et l'interdisciplinarité à partir de son travail sur la Kabylie. À ce titre, elle mobilise plusieurs disciplines et ponctue abondamment son propos par de multiples références situant de la sorte son apport cumulatif. Son article est structuré en deux sections. La première analyse les fondements épistémologiques, théoriques et conceptuels de la démarche interdisciplinaire adoptée, fondée sur l'articulation des apports de l'anthropologie et de l'histoire. La seconde section propose un retour réflexif sur les enjeux et les défis méthodologiques liés à l'expérience de recherche ethnographique menée sur le terrain.

Dans une autre perspective, Isabelle **Grangaud** revient sur les constructions de ses recherches portant sur différentes périodes éclairant l'histoire de plusieurs régions algériennes en prenant « les

sources au sérieux ». Elle donne à lire les différents moments de sa démarche et leur traduction en une progressive redéfinition de ce qu'étaient les sources de l'historienne. De Constantine à Alger, de l'histoire ottomane à l'histoire coloniale, l'auteure nous montre comment ses terrains ont pris des formes différentes qui ont travaillé à une redéfinition progressive du statut des sources.

Saïd **Belguidoum**, qui a mené ses recherches de terrain dans plusieurs villes algériennes évoque l'avènement d'une forte urbanisation transformant la société algérienne à prépondérance rurale. Il la restitue en un produit constamment renouvelé par une dialectique entre pratiques sociales et cadre spatial. Pour lui, « comprendre la ville, c'est d'abord la lire comme un produit sans cesse renouvelé de l'activité des agents ». L'auteur ne manque pas d'attirer l'attention sur les nouvelles vulnérabilités liées au changement climatique, qui s'ajoutent aux fractures sociales et les amplifient, appelant les décideurs et la communauté des chercheurs à penser la ville de demain à partir de nouvelles perspectives.

Fatima Zohra **Chebab** traite d'une pré-enquête menée auprès des professionnels de santé, ses collègues de travail. Elle se donne l'objectif d'éclairer la complexité de la double posture du doctorant praticien chercheur et souligne la nécessité d'une attitude réflexive permanente. Elle montre ainsi que le milieu de son terrain, si familier et si proche, s'est finalement avéré complexe, ce qui la contraint à se « défamiliariser ». Elle démontre ainsi que le travail de terrain bien que dans un milieu familier, nécessite de ne pas sous-estimer sa complexité.

Yahia **Benyamina** quant à lui se penche sur la diversité d'engagement politique et civique des « jeunes ». Il met en relief une ethnographie résultant d'un processus d'ajustement au fondement d'une recherche « émergente et improvisée ». L'auteur essaye de comprendre les répertoires d'actions hybrides et les compétences transférables d'une arène d'activisme à l'autre chez les jeunes algériens engagé en politique. Pour ce faire, il souligne la nécessité d'une méthodologie flexible, d'une éthique rigoureuse sur le terrain et de relations réciproques pour produire des données valides dans un contexte complexe et marqué par la méfiance.

L'article de Farid **Marhoum**, Sara **Boumezoued** et Nawel **Alioua** questionne les frontières entre rural et urbain en fondant leur réflexion sur un retour de l'expérience des villages socialistes. Cette étude propose une approche alternative pour saisir les dynamiques spatiales complexes des villages socialistes algériens

et leur évolution durant un demi-siècle. Le terrain a conduit les chercheurs à (ré)interroger la problématique de l'urbanisation et de la ruralisation au regard des mutations qui marquent les mondes rural et urbain.

Enfin, ma contribution est rapportée à l'internationalisation à partir des réflexions inspirées de mes expériences de chercheur en France, en Algérie, mais aussi au Brésil et au Japon, deux pays où j'ai effectué des enquêtes pour questionner les altérités au prisme des dynamiques urbaines dans ces pays. Les contraintes des enquêtes ressortent bien sûr des difficultés relatives aux pratiques linguistiques et culturelles mais aussi de la pluralité des socialisations à la recherche sans ignorer les socialisations primaires des chercheurs.

On lira aussi dans ce numéro un éclairant entretien avec Fatma **Oussedik** qui restitue les étapes et les modalités de ses enquêtes sur des problématiques relatives au rapports de genre, à la place des femmes en Algérie, à l'enseignement, à l'urbain ou au fait religieux.

Abdelhafid HAMMOUCHE*

* Université de Lille, Clersé-CNRS, UMR 8019, Faculté des sciences économiques, sociales et des territoires, Cité scientifique, (59655), Villeneuve d'Ascq Cedex, France. N° ORCID : 0000-0003-4660-7679